

أمك مهرب؟! رحاب الوافي



أين أذهب منك؟ أمك مهرب أو اختباء؟
أعصيك وألجأ إليك،
وما بعد الجراءة والضعف، إلا حياء وانكساراً بين يديك، أقف بين يديك في كل مرة ويملاً صدري الحزن والألم،
بفكر شارذ وقلب خائف،
يعلوني الذنب وأنا التي أعلم بأنه ما استقام لي حال إلا بفضلك،
وأني ما عصيتك إلا بنعمك التي أنعمت علي،
وأني كنت على مرأى منك وأنت البصير السميع، أهكذا يجازى من أحسن وأكرم ومن أجزل بالعطايا، ومن هدى وأجتبي وأصطفى،
أطيل في سجودي عليها تطهرني من ذنبي وتزكيني، وأتابع في توبتي واستغفاري علها تشفع لي عندك فترضى وتقبلني،
أستغرق في تأملي في عظمتك وملكوتك فتزيد في قلبي هيبتك،
فيزيد ذلك في ألمي وحزني وتأنيب ضميري،
وأذوق حلاوة قربك فأتجرع مرارة الألم لما اقتربت وابتعدت،
فأعاهد نفسي وأعاهدك ألا أعود وأعود وأنت تعلم لأنك العليم الخبير،
تذهب لذة المعصية وتبقى حسرات الذنب باقية تنهش في صاحبها إلى ما لطف الله به،
يذهب بصبص النور الذي أذنبت به فتلحقك ظلمات ذنبك تفسد قلبك وتبعدك عن العبادة،
فإن فرطت في شيء من الدين لا تعتقد أن تفتح لك أنوار الهداية في باب آخر،
كل شيء له ثمن،
وذنبك تأخذ من هدايتك وتوفيقك وتنقص من نورك،
تقوى الله تكون في كل شيء،
والصدق في اتباع الله في كل ما أمر،
واجتناب كل ما نهى عنه،
وصدق الانقياد والخضوع إليه وتعظيمه والتسليم له، يظن العبد أنها معصية تتبعها توبة،
ونسى أن الله عقابه شديد مؤلم،
وأه سيتجرع ما يتجرع مما يبطله الله به ليطهره ويغفر ذنبه، ويعاقبه على ظلمه،
فهل يستشعر العبد حين يهمل بالذنب أنه لن يحتمل عقوبة الله،
وأه في غنى عن عذاب الله له،
فينصرف عن الذنب ويبدل حسناً،
فيستقيم حاله،
ويبقى في مأمن تحت ظل رحمت ربه ورضوانه، تضيق بي الأرض بما رحبت، فلا يعود لي بها هناء ولا سرورا،
الطريق مظلم والقلب مذنب،
أنا العبد المخطئ والمذنب الذي ليس له مفر منك إلا إليك،
وليس له طريق نجاة إلا طريقك،
لا شيء أحسن وأرحم علي من إقبالي عليك،
وتوسلي لك أن ترضى عني وتغفر لي،
وأنت الرحمن الودود الغفور الحليم العفو الكريم الذي لا يرد من أتى إليه،
فكيف إن أتى إليك فقير منكسر خال من كل شيء إلا منك، يلتمس رحمتك وإحسانك،
وأنت الجبار الذي تجبر من أتى إليك منكسراً،
وأنت القوي الذي يؤوي من أتاه ضعيف،
وأنت العزيز الذي تعز من أتى إليك وقد دنسته خطاياها فأصبح في لجتها ذليل،
وتبدل حاله وتعز به عزتك،
أتى إليك بضعفي وحزني،
أتى إليك بكل محاولاتي الفاشلة،
بجهادي الذي ما تواني أن صبرا،
فأبكي بين يديك وأسألك أن تشرح صدري وتغفر لي، أتيت إليك مجردة من حولي وقوتي،
مسلمة لحولك وقوتك،
أن تعينني على إصلاح سريرتي وعلانيتي،
وأن تصلح حالتي،
أن تكرمني بالتقوى وتجعلني من عبادك الصالحين، وممن اصطفيت وأدبتهم منك،
ممن فرغتهم للعبادة وللآخرة،
وصرفتهم عن لجاج المعاصي والآثام،
وأكرمتهم بأن يكونوا من الأبرار،
وممن هم لهم عندك زلفى وحسن مأب،
وتهديني وتثبتني فتستجيب بفضلك،
الشعور بالبحث عن الله، وإيجاد الطريق إليه، وصدق المسير إليه،

ابدأ بإصلاح حالك وتفقد أحوالك وإصلاح قلبك وسريرتك ومراقبة الله، فلا تتبع الهوى، واتخذ دين الله هاديا ومعينا،
فإن كان ذنبك عقوقا فتعجل بالبر،
وإن كان تركا لفرض فتعجل بإقامته،
تمضي الدنيا بما فيها ويبقى لك منها عملك الصالح،
فالموفق من ضفر بالجواهر الباق وترك الفتات الفاني.

رحاب الوافي